لكل قوم تاج، وتاج هؤلاء القوم: "الشبلي"

«من كلام الجنيد»

تاج الصوفية

أبو بكر الشبلي

حياته وآراؤه

الإمام

عبد الحليم محمود

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المحبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا﴾.

«اللهم لك الحمد، يا ضياء السموات والأرض، ويا بهاء السموات والأرض، وياقيوم السموات والأرض، ويا نور السموات والأرض، بحق أسمائك عليك، وبحقك عليك، فلا حق أجل منك عليك، وبحق ما أنزلت ، وبحق من جعلت له فهمًا فيما أنزلت، يا ألله، ويا من لا سواك الله :

صلِّ اللهم على محمد وعلى آل محمد».

[من دعاء الشبلى]

مقدمة

إن لكل صوفى طابعًا معينًا، ولكلامه مذاقًا خاصا.

والصوفية - وإن كانوا جميعًا يسيرون إلى هدف واحد، وغاية لا مذاهب فيها، هى: التوحيد - فإنهم يختلفون فى الشكل، ويتفاوتون فى الطريق. ومن هنا كانت الكلمة المأثورة:

التوحيد واحد. «والتوحيد هو الغاية».

والطريق إلى الله كنفوس بنى آدم.. إنها تتعدد وتتفاوت..

وكثير من الصوفية ساروا فى طريق الحب، وقد اشتهر منهم البعض فى هذا الطريق، والناس جميعًا يسمعون - فى هذا المجال - عن السيدة رابعة العدوية - قدس الله روحها - ولكنهم - فى كثير منهم - لم يسمعوا عن الإمام أبى بكر الشبلى.

والإمام أبو بكر الشبلى صورة جميلة لزاويتين هما من أهم زوايا التصوف - إن لم يكونا أهمها:

أولاهما: حب الله تعالى، ولقد سار فيه الشبلى على طريق مستقيم: إنه أحب الله إلى درجة الهيام، واستولى عليه الحب فكان له السلطان والسيطرة فى كل ما يقوم به «الشبلى» من عمل.

لقد هام «الشبلى» فى رياض الحب، وأخذ يتحدث عنه نثرًا وشعرًا، وشعره فى هذا المجال جميل مؤثر. وما كان يكتفى فى التعبير عن عاطفته بشعره هو، وإنما كان يستشهد بشعر الآخرين فى مختلف المناسبات، وسيرى القارئ الكثير سن هذا الشعر فى أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

بيد أن هذا الهيام الذى كان يستولى أحيانا على الشبلى فيملك عليه جميع أقطاره حتى لا يرى ولا يحس ولا يسمع إلا ماله صلة بمحبوبه، ولا يشعر بشىء إلا بما يعتمل فى صدره من حب الله تعالى...

هذا الهيام المستغرق كان من مظاهره حسن العبادة، وتحقق للشبلى عن طريق المحبة ما وصفه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من مظهر الإحسان بقوله حينما سئل: ما الإحسان؟ فأجاب:

«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

كان الشبلى متعبدًا كأحسن ما يكون العباد المحبون.

وسيرى القارئ شيئًا من تفصيل كل ذلك فى الكتاب إن شاء الله تعالى.

أما الزاوية الثانية – فى صورة الشبلى الجميلة – فإنها زاوية: التوحيد، والتوحيد هو المذهب، والتوحيد فى حياة الشبلى كما يعتبر المذهب والغاية، فإنه بنظرة أعمق فى حياته – يعتبر أيضًا طريقًا، إنه حينما سئل عن التصوف قال:

«بدؤه معرفته، ونهايته توحيده!»

ولكن.. ما هذا البدء؟ إنه معرفة الله واحدًا، ومعرفة ما يجب لهذا الواحد من فروض وواجبات، وما يستحيل عليه سبحانه، إنه معرفته منزَّها عن الشريك والند والولد والصاحبة.

وإذا كانت النهاية «توحيد شهادة»: «أشهد أن لا إله إلا الله»، فإن البدء «توحيد معرفة بما يجب وما يجوز وما يستحيل، ومعرفة بما يجب أن يقوم به الإنسان من فروض، وما يجب أن ينتهى عنه من منهيات.

إن البدء توحيد معرفة مكتسبة من خلال كتب الدين، والنهاية توحيد شعور وحال وذوق: وكلاهما توحيد.

وعندما يصل الإنسان إلى توحيد الشعور والحال، فإن التوحيد والمحبة يمتزجان، فيكونان وحدة متكاملة هى: توحيد الحب، أوحب الواحد الأحد.

وامتزج الحب والتوحيد فى حياة الشبلى، فكان ذلك تاجًا على رأسه، وصدقت كلمة الإمام الجنيد:

لكل قوم تاج، وتاج هؤلاء القوم الشبلى!

ومن أجل ذلك: من أجل هذا التناسق الجميل بين الحب والتوحيد كتبنا عن الشبلى!

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

والله نرجو أن يهدى بهذا الكتاب، وأن يهدى له، وأن يحيط الشبلى بشآبيب رحمته. وأن يتفضل عليه بحبه.

إنه سميع قريب مجيب...

الفصل الأوّل

حياته